مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٨

رسالة إلى دراكُنتيوس

للقديس أثناسيوس الرسول

ترجمة: إيفيت منير مشرقي

الرسالة إلى دراكُنتيوس

للقديس أثناسيوس الرسولي

ترجمة: إيفيت منير مشرقي
yvettemounir@gmail.com

إن اسم أثناسيوس الخالد لا يمكن أن ينفصل أبدًا عن عقيدة الثالوث
التي كرَّس لها حياته وكل قدراته العقلية وكيل كيانه ...
وقد شهدت كل ولاية من ولايات الإمبراطورية الرومانية
ما كان يتحلَّى به من فضائل وما كان يعانيه من آلام
في سبيل قضية وحدة الابن مع الآب في الجوهر
التي أصبحت عمله الوحيد وهمَّه الوحيد.
المؤرخ جيبون[1]

مقدمة عن رسائل القديس البابا أثناسيوس الرسولي[2]

لقد نجت مراسلات أثناسيوس الهامة جزئيًا مِن الضياع. إنّ رسائله في جزئها الأكبر ليست شخصيّة أو فرديّة، ولكن تمثّل قرارات رسميّة، وأحيانًا تتّخذ شكل مقالات حقيقيّة. ولذا فهي هامّة جدًا لتاريخ الصراع الأريوسي، وتطوُّر التعليم المسيحيّ في القرن الرابع. وتنقسم رسائل البابا أثناسيوس إلى:

(أ) رسائل عقائدية:

١. رسالة دوريّة إلى أساقفة مصر وليبيا[3]

---

[1] الأب متى المسيكين، *القديس أثناسيوس الرسولي (البابا العشرون)*، ط٢، دير القديس أنبا مقار، ٢٠٠٢، ٦٦. [جدير بالذكر أن المؤرخ جيبون لا يُعتبر مسيحيًا، فهو يسخر من الكنيسة وكل رجالها، ولم يترك شخصية إلاَّ وفضح عوراها ما عدا القديس أثناسيوس الذي لم يتمالك إلاَّ أن يُشيد به في كل موضع يأتي فيه ذكره].

[2] المرجع الرئيس لهذه المقدمة هو: مُذَكِّرات في علم آباء الكنيسة، ١ آباء الكنيسة الاسكندرانيّة وكُتَّابُها (پَتْرولوجيّا أَلِكْساندرينا)، ترجمة وإعداد الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، أكتوبر ٢٠٠٥؛ وأيضًا: أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية)، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية (الكتابات اليونانية)، ط١، يناير ٢٠٠٣ .

[3] رسائل البابا أثناسيوس مرتبة بحسب الرقم الدولي للمصنف الآبائي، طبقًا لفهرس كتابات الآباء اليونان "Clavis partum graecorum" الذي نشره دكتور موريس جيرار في ستة مجلدات بدءًا من سنة ١٩٤٧م إلى سنة ١٩٩٨. ويعتبر هذا الفهرس من أدق الفهارس الآبائية.

Epistola encyclica ad epicopos Aegypti et Libiae

كتب أثناسيوس هذه الرسالة بعد طرده مِن الإسكندريّه يوم ٣ فبراير ٣٥٦، وقبل وصول جيورجيوس الأسقف الأرياني الجديد، يوم ٢٤ فبراير ٣٥٧. إنّها تهدف، قبل كلّ شيء، إلى تحذير الإكليروس ضدّ الهراطقة، الذين يحاولون إحلال صيغة إيمان نيقيا بصيغة أخرى، ولهذا السبب يُعارض، في الجزء الثاني، التعليم الزائف على نصوص الكتاب المقدّس. وفي النهاية يصف المؤلّف موت آريوس، ويدين التحالف الغريب للميليتيانين الأغبياء مع الأريوسيين الفاسدين.

"يجب أن تُضيئوا بلمعان الإيمان والحقيقة المتألق. لذلك أرجوكم أن تتمسكوا بالإيمان الذي وضعه الأساقفة في مجمع نيقية، ليكن فيكم الإيمان والثقة بالرب، وكونوا للجميع مثالاً في الإيمان".

٢. أربع رسائل عن الروح القدس Epistulae iv ad Serapionem

كُتِبت الرسائل الأربع إلى سيرابيون أسقف تُمْويس كُتِبَت سنة ٣٥٩م، أو في بداية ٣٦٠م، عندما كان أثناسيوس مختبأ لدي رهبان الصحراء المصريّة. إنّها تكوِّن عملاً متجانسًا، لا لأنّها موجَّهة إلى نفس الشخص فحسب، بل لأنّها تعالج نفس الموضوع: التعليم حول الروح القدس؛ مشكلة ألوهيِّة الروح القدس كانت مرتبطةً بطريقة وثيقة بألوهيِّة الابن، وبالصراع الأريوسي،

وفيها يفند أثناسيوس ادعاء الأريوسيين بأن الروح القدس مخلوق، وأنه روح خادم يختلف فقط عن الملائكة في الرتبة. وفضلاً عن الرسائل حول الروح القدس وصلت إلينا رسالتان قصيرتان موجّهتان لسيرابيون: الواحدة موجزة جدًا كُتبت سنة ٣٣٩م، وقد ضُمّت لمجموعة الرسائل العيديّة، والأخرى مكتوبة في السنوات ٣٥٦-٣٥٨م، وتحكي عن موت آريوس.

وقد ترجم هذه الرسائل القس مرقس داود إلى العربية سنة ١٩٥٢م. كما ترجمها د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد سنة ١٩٩٤م تحت عنوان: الروح القدس للقديس أثناسيوس الرسولي.

٣. رسالة إلى إبيكْتيتوس Epistola ad Epictetum

كُتبت هذه الرسالة سنة ٣٧٢م إلى إبيكْتيتوس، أسقف كورينثوس، والتي تعالج العلاقة بين المسيح التاريخي والابن الأزلي. لقد كان أسقف كورينثوس قد عرض على أثناسيوس مذكرة حول بعض المشاكل الناشئة في أيبرشيته. ويشرح ق. أثناسيوس فيها قانون إيمان نيقية، ومن هنا كانت الأهمية البالغة للرسالة[٤].

ولقد اكتسبت هذه الرسالة شهرة كبيرة وذُكِرت كثيرًا في الصراعات الخريستولوجيكية. ولقد استعان بها ق. إبيفانوس (٣١٥ ـ٤٠٣م) في مؤلَّفَه "الرد على الهراطقة" لدحض أراء أبوليناريوس أسقف اللاذقية.

وقد نشرها الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحي بعد الشهيد في القاهرة سنة ١٩٨١، مترجمة من اليونانية إلى العربية، تحت عنوان: "المسيح في رسائل القديس أثناسيوس" ضمن سلسلة النصوص الآبائية التي يصدرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

٤. رسالة إلى مارسيلينوس Epistula ad Marcellinum

وهى رسالة في تفسير المزامير. وفيها يذكر أن المزامير تصلح لكل أحد ولكل حالة، ولكل احتياج روحي. واشار إلى ضرورة ترتيل المزامير كعادة ليتورجية ليس بسبب تأثيرها الموسيقي في النفس، بل لكونها تعطي العابدين وقتًا أوفر للتأمل في المعنى الروحي لكلمات المزامير.

وقد ترجم هذه الرسالة إلى العربية القس مرقس داود، ضمن منشورات بيت التكريس بحلوان سنة ١٩٦١م، في كتاب بعنوان: تفسير المزامير للقديس أغسطينوس مع رسالة في المزامير للقديس أثناسيوس الرسولي.

---

[٤] تلاعب في نصها أساقفة كنيسة أنطاكية بعد مجمع أفسس سنة ٣٤١م. ولكن، كان يحتفظ البابا كيرلس الكبير بنسخة أصلية منها إلى جانب كتابات البابا أثناسيوس الأخرى. وهذا ما أعلنه البابا كيرلس الكبير في رسالته رقم (٣٩) التي أرسلها إلى يوحنا بطريرك أنطاكية.

٥- رسالة إلى أدفيلوس Epistula ad Adelphium

تجيب الرسالة إلى أدفيلوس، الأسقف والمعترف، والمكتوبة سنة ٣٧٠ أو ٣٧١م، على تقرير كان أدلفيوس قد أرسله إلى أثناسيوس حول تهمة عبادة الخليقة المتجسد كلمة اللّه، الموجهة مِن الأريوسين ضد كريستولوجيا نيقيا. ويعيد أثناسيوس خطأهم إلى الفلنتينانين والمركيونايين والمانكيين، ويشدِّد على أنّنا لا نعبد مخلوقًا بل الرب نفسه. يقول البابا أثناسيوس:

"نحن لا نعبد مخلوقًا، حاشا! لأنّ مثل هذا الضلال أنّما هو خاصّ بالوثنيين والأريوسيين. ولكننا نعبد ربّ الخليقة المتجسِّد، كلمة اللّه... وعندما نريد أنْ نعبد الكلمة، فأننا لا نفصل الكلمة عن الجسد، ولكننا - كما سبق أنْ قلنا- إذ نعرف أنّ الكلمة قد صار جسدًا، فأننا نعرفه كإله أيضًا".

وقد نشرها الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحي بعد الشهيد في القاهرة سنة ١٩٨١، مترجمة من اليونانية إلى العربية، تحت عنوان: "المسيح في رسائل القديس أثناسيوس" ضمن سلسلة النصوص الآبائية التي يصدرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

٦- رسالة إلى الفيلسوف مكسيموس Epistula ad Maximum

فيها يهنيء أثناسيوس مكسيموس على نجاحه في تفنيد هرطقات معينة أثارها أريوس وأتباعه والتي كانوا يؤكدون فيها أنّ المسيح هو فقط ابن اللّه بالتبني. ويؤمن أثناسيوس بثبات أنّ الإيمان النيقاوي سينتصر في النهاية.

(ب) رسائل تاريخية:

١- رسالة بخصوص مجمعي أريمينوم وسلوقيا

Epistula de synodis Armini et Seleuciae

كُتِبت في خريف ٣٥٩م، وتتخطَّى بمراحل الحجم العادي لأية رسالة، لتعالج تاريخ هذين المجمعين. وفيها يُظهر أثناسيوس إنّه لا شيء كان يبرّر عقد مجماع أخرى، لأن قرارات نيقيا كانت تجعلها غير مجدية. الهراطقة.

"الذين يقبلون كل ما أُقِرَّ في نيقية ولا يترددون إلاَّ على لفظة ὁμοούσιος لا ينبغي عدّهم

أعداء، ونحن أنفسنا لا نحاربهم على أنهم أريوسيون أو خصوم الآباء، بل نخاطبهم كإخوة متفقين معنا في الفكر ولا يناقشون إلاّ على الألفاظ".

(ج) رسائل عيديَّة (فصحيَّة) Epistulae festales

خلال القرن الثالث شرع أساقفة الاسكندريّة في عادة الإعلان كلّ سنة للشعب والإكليروس عن افتتاح الزمن الأربعينيّ، وعن التاريخ الصحيح للفصح، في رسالة تنشر عادةً، بعد عيد الإبيفانيا بقليل. كانت هذه الرسالة تفحص، فوق ذلك، الشؤون الكنسيّة الجارية، ومشاكل الحياة المسيحيّة، وكانت تحثّ على الصوم، والصدقة، والتقرُّب مِن الأسرار.

الأوّل، على حدّ معرفتنا، الذي أرسل مثل هذه الرسائل كان البابا ديونيسيوس الكبير الاسكندري. وقد كان أثناسيوس أمينًا على هذه العادة، حتّى وهو في المنفى. بعد موته بقليل، جُمِعَت هذه الرسائل مِن قِبل أحد أصدقائه، ووصلت المجموعة إلى انتشار واسع. وإنْ كان مِن الأصل اليونانيّ قد بقيت شذرات قليلة، ثلاث عشرة مِن هذه الرسالة المكتوبة بين ٣٢٩-٣٤٨ وصلت إلينا كاملةً بالسريانيّة. وقد نشر العالم ليفور Lefort سنة ١٩٥٥ نشر النصّ القبطيّ لسبع عشرة رسالة كنّا نعرف أجزاءً قليلة منها باللغة اليونانيّة.

ونجد فيها بساطة الأسلوب نفسها، والقوة نفسها، والحرارة نفسها الموجودة في كتابات أخرى للقدّيس أثناسيوس. يحتلّ اقتراب الزمن الفصحي، بالطبع، مكانةً غالبة، ويشعّ جوٌ مِن الفرحة. التعليمات الخاصّة بالزمن الأربعينيّ تثبت أنّه قد تأصلت في مصر عادة الصوم أربعين يومًا قبل الفصح.

وقد نشر هذه الرسائل بالعربية القمص تادرس يعقوب وآمال إبراهيم نجيب في الإسكندرية سنة ١٩٦٧م، مترجمة عن الإنجليزية.

(د) رسائل دفاعيَّة:

١- رسالة بخصوص قرارات مجمع نيقية

Epistula de decretis Nicaenae synodi

هى دفاع عن مقررات مجمع نيقية ولا سيما عن التعبير غير الكتابي

"المساوي في الجوهر" والذي كان محل هجوم الأريوسيين. كُتبت الرسالة نحو سنة ٣٥٠-٣٥١م. ويُظهر أثناسيوس أنّ هذا التعبير لا يعني إلاّ ما يقوله الكتاب المقدّس وما تستعمله الكنيسة منذ أوريجانوس وديونيسيوس الروماني والإسكندري وتيئوجنوستوس الذين يذكرهم كلهم. هذه الرسالة هامة جدًا لأنها تخبر عن مناقشات مجمع نيقية.

٢. رسالة دوريّة لأساقفة الكنيسة الجامعة Epistula encylica

هذه الرسالة الدوريّة إلى أساقفة الكنيسة الجامعة، والمكتوبة حوالي منتصف سنة٣٣٩م، تدعو بطريقة ملحّة جميع الأساقفة لمساندة قضيّة أثناسيوس، والاتّحاد معه ضدّ غريغوريوس الأسقف الأريوسي، الذي وُضِع بالقوّة على كرسي الاسكندريّة، وتذكر الرسالة بالتفصيل الإهانات المقترفة لدى وصول غريغوريوس يوم ١٥ أبريل ٣٣٩، وأفعال العنف مِن جهة الحاكم، الذي صادر الكنائس، وسلّمها للأريوسيين. تمثّل هذه الرسالة أقدم مؤلَّف دفاعي لأثناسيوس.

٣. رسالة إلى الأساقفة الأفريقين Epistula ad afros episcopos

هذه الرسالة كُتبت باسم الاثنين والثمانين أسقفًا في مصر وليبيا والمجتمعين في مجمع الإسكندريّة سنة ٣٦٩م، يحذرون فيها إكليروس كنيسة شمال أفريقيا مِن إيمان مجمع أريمينم، الذي وضع تحديدات مجمع نيقية. وتضع الرسالة مجمع نيقية كنقيض للمجامع المحليّة المعقودة فيما بعد، وتُثبت أنّ الصيغة النيقاويّة تتّفق مع الكتاب المقدّس. ويشدّد المؤلّف كذلك على أنّ مجمع نيقية يقتضي ألوهيَّة الروح القدّس، وفي الخاتمة يحذِّر مِن أوكسينتيوس أسقف ميلانو الأريوسي[٥].

٤. رسالة إلى الأنطاكيين Tomus ad antiochenos

كُتِبَت هذه الرسالة باسم المجمع المنعقد في الإسكندرية سنة ٣٦٢م، وتعالج حالة كنيسة أنطاكية، وينصح المؤلّف بالاحتياطات الواجب اتّخاذها

[5] Quasten, J., *Patrology*, vol. 3, p. 56.

لاستتباب الإيمان والوفاق. يجري فيها وضع الحدود، التي تُمْنَع على أساسها الشركة مع الأريوسيين، الذين يريدون العودة: بخلاف حرم صريح ضد التعليم الأريوسي، لن يُطْلَب منهم أكثر مِن قبول إيمان نيقية. وتدافع الرسالة، ضدّ الخريستولوجيّا الأريوسية، عن سلامة طبيعة المسيح البشريّة، وعن اتّحادها الكامل مع الكلمة، لأنّ هذا يقتضي مسألة هامّة خاصّة بالألفاظ الثيئولوجيكيّة.

٥. رسالة إلى الإمبراطور جوفْيانُس حول الإيمان

Epistula ad Iovianum imperatorem

تقدّم هذه الرسالة عرضًا للإيمان الحقّ، كان قد طلبه الإمبراطور، ألَّفه أثناسيوس طبقًا لطلب مجمع الإسكندريّة الكبير المنعقد سنة ٣٦٣م.

(هـ) رسائل نسكية:

١. رسالة إلى الراهب آمون Epistula ad Amum

كُتِبت هذه الرسالة قبل سنة ٣٥٦م، ردًا على استفسار الرهبان بتوسط أبيهم آمون بخصوص انزعاجهم من الإفرازات الليلية اللاإرادية، فأجابهم ق. أثناسيوس قائلاً: "إذا كنا نؤمن أنّ الإنسان صُنعْ يدي اللّه، حسب الكتب المقدسة، كيف يمكن لقوة طاهرة إنتاج عملاً ملوثًا؟ إذا كنا مِن اللّه، حسب أعمال الرسل، فليس فينا شيئًا دنسًا. عندما يحدث دونّ إرادتنا أي أفراز طبيعي، نحن، بسبب ضرورة الطبيعة، نقوته بذلك كأي شيء آخر".

٢. رسالة إلى الرهبان Epistula ad monachos

في هذه الرسالة يشعر أثناسيوس أنّ مِن واجبه الكتابة إلى المتوحدين: "لأنه يوجد أشخاص يميلون إلى أريوس ويجوبون الأديرة مخادعين بالزيارة بعد عودتهم مِن عندنا، دون هدف إلا الوصول إلى خداع البسطاء". وهو يطلب مِن قُرَّاءه بعدم إعطاء فرصة تشكيك للأخوة، ويتجنب أولئك الذين يؤكدون أراء أريوس، وكذلك الذين مع أنهم لا يميلون إلى أريوس يحضرون مع ذلك صلوات الهراطقة.

٣. رسالة إلى دراكونتيوس Epistula ad Dracontium

كُتِبت سنة ٣٥٤ أو ٣٥٥م يُشجع فيها ق. أثناسيوس الراهب دراكونتيوس على عدم رفض الأسقفية التي دُعيَّ إليها، وأنه ليس وحده الذي اُختير من بين الرهبان إليها. ويبدو أنّ الرسالة حققت هدفها، لأن دراكونتيوس شارك في مجمع الساقفة الذي عُقِد في الإسكندرية سنة ٣٦٢م بصفة أسقف هرموبولس بارفا.

٤. رسالة إلى العذارى Epistula ad virgines

اقتبس منها ق. أمبروسيوس بإسهاب في كتابه "عن العذارى" بدون أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه. أما ق. شنودة الأتريبي فقد أخذ منها فقرة مطولة، مشيرًا إلى أنه أخذها من رسالة للبابا أثناسيوس الرسولي. وجدير بالذكر أن إفرايم الأنطاكي (+ ٥٤٤م) أشار إلى "رسالة إلى العذارى" للقديس أثناسيوس[٦]. وتضم الرسالة شرحًا ممتازًا للتعليم عن طبيعة السيد المسيح ووحدة أقنومه.

> "البتولية هى كبستان مغلق لا يدخله إلاَّ البستاني وحده. فهو عريسك، هو الذي سيعطيك الإكليل، هو الذي سيعدّ لك ثوب وليمة العرس، هو الذي سيكشف لك الكنوز، ويُهيىء لك مائدة الآب ويسقيك من نعر من النعيم. انتظريه، وتأملي به في فكرك، تحدثي معه، افرحي معه، ونالي كل شيء منه".

٥. رسالة في المحبة وضبط النفس[٧]

Epistula de caritate et temperantia

---

[6] Photius, *PG* 103, 993.

[٧] نُشرت هذه العظة بنصها القبطي مترجمًا إلى الإنجليزية بواسطة بودج في لندن سنة ١٩١٣م منسوبًا للقديس أنبا باخوميوس: E.A. Budge, Coptic Apocrypha in the Dialect of Upper Egypt, London 1913, p. 35-98.

٦. رسالة أخرى إلى العذارى Epistula ad virgines

(و) رسائل أخرى: منها

١. رسالتان إلى أورسيسوس Epistula ad Orisium

٢. رسالة إلى روفينيانوس Epistula ad Rufinianum

وبمشيئة الرب، سوف نتناول في الأعداد القادمة للمجلة، ترجمة باقي رسائل القديس أثناسيوس الرسولي غير المترجمة إلى اللغة العربية. ونستهل في هذا العدد ترجمة "الرسالة إلى دراكونتيوس".

مقدمة عن الرسالة إلى دراكونتيوس

لهذه الرسالة أهمية خاصة بين رسائل القديس أثناسيوس الرسولي، إذ أنها تعالج موضوعًا هامًا شغل بال الكثيرين من الرهبان والنساك في القرن الرابع الميلادي، ولا يزال حتى يومنا هذا، ألا وهو: هل قبول الراهب للكهنوت أو الأسقفية يتعارض مع النسك والحياة الرهبانية؟

كان القديس أثناسيوس ميَّالاً لاختيار الأساقفة من بين الرهبان، وهو صاحب الفضل في جعل المؤسسة الرهبانية في خدمة الكنيسة وأبنائها، رغم أنها قامت أساسًا رغبة في العزلة عن المجتمع والتوحد في الصحراء طلبًا لحياة الكمال الروحي. فقام القديس أثناسيوس بسيامة عدد كبير من الرهبان كأساقفة، ويذكر بعضهم بالاسم في هذه الرسالة (انظر فقرة ٧). وكان قد رسم دراكونتيوس أسقفًا على مدينة هرموبوليس بارفا في الدلتا (دمنهور حاليًّا). ولما كان دراكونتيوس يرى أن سيامته أسقفًا ستعوقه عن حياة النسك، وربما تسبب له بعض الكبرياء، هرب وترك إيبارشيته، فأرسل له القديس أثناسيوس هذه الرسالة يحثه على العودة، ويشرح له فضائل خدمة الأسقفية وأهميتها، وما يقوم به الأسقف من جهد في رعاية شعبه روحيًّا، واصفًا له ما يمكن أن يحدث من مصاعب جراء هروبه، خاصة من الأريوسيين

الذين كانوا يحاولون سيامة أساقفة لهم في كل مكان تُتاح لهم فيه هذه الفرصة. ويبدو أنه كانت لدراكونتيوس شعبية كبيرة بين المسيحيين والوثنيين على حد سواء، حتى إن كثيرين من الوثنيين وعدوا أن يصيروا مسيحيين في حالة سيامة دراكونتيوس أسقفًا على مدينتهم (انظر الفقرات ٣.١).

ومسألة قبول الرهبان للمناصب الكهنوتية بشكل عام قد تعرض لها كثيرون من آباء الرهبنة. فكان القديس باخوميوس يعلم أبناءه الرهبان أنه لا يصح للراهب قبول الكهنوت أو الأسقفية لما يمكن أن يسببه ذلك من حسد وغيرة بين الرهبان. وقد طبق ذلك عمليًّا، برفض سيامته كاهنًا وقت زيارة القديس أثناسيوس للصعيد، فهرب واختفى عنه حتى رحل رئيس الأساقفة. كذلك تخبرنا مجموعة "أقوال الآباء" اليونانية عن أحد النساك الذي قبل الرسامة الكهنوتية على مضض نتيجة إلحاح من الأسقف، ولكنه حتى نياحته لم يمارس أي عمل من أعمال الكهنوت، وذلك لاقتناعه بعدم استحقاقه، وأن الكهنوت هو فقط للكاملين. كذلك رفض القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين درجة الأسقفية، واكتفى بكونه كاهنًا. ولكن بمرور الوقت تغيرت هذه الفكرة، وتزايد عدد الأساقفة من بين الرهبان، وبحلول القرن الخامس الميلادي صار اختيار الأساقفة من الرهبان هو القاعدة[٨].

تمت ترجمة هذه الرسالة عن النص الإنجليزي المنشور في مجموعة آباء ما بعد نيقية، المجلد الرابع (كتابات القديس أثناسيوس)، ص ٥٥٧–٥٦٠. وترقيم الفقرات ونص الحواشي مأخوذ عن النص الإنجليزي، وما هو مكتوب في الحواشي بين قوسين مربعين من وضع المعرب لإيضاح المعنى.

---

[٨] لمزيد من التفاصيل انظر د. صموئيل قزمان معوض، *الأنبا شنوده رئيس المتوحدين: سيرته، عظاته، قوانينه*، الجزء الأول، القاهرة: باناريون، ٢٠٠٩، ص ٣٥–٣٨.

نص الرسالة

رسالة القديس أثناسيوس إلى دراكونتيوس[٩]

الرسالة التاسعة والأربعون

١. إني لفي حَيرةٍ كيفَ أكتب: هل ألُومُك من أجْل رَفْضِك؟ أَم لرهبتك من المُثول للأحكام واختبائِك خوفًا من اليهود[١٠]؟ على أيَّةِ حال، ومهما يكُن من أمر، فإنَّ ما قد فعلتَ لهو مُستوجِبٌ العِتاب، أيها الحبيب دراكُنتيوس. إذ لا يليق بك، من بعد أن نُلتَ النعمة، أن تختبئ. ولا يليقُ بك، وأنتَ رجُلٌ حكيمٌ، أن تُقدِّم لآخرين حُجَّةً للهروب. فإنَّ كثيرين يُعْثَرون عند سماعهم هذا؛ لا لمُجرَّد أنك هكذا فعلت، بل لأنك فعلتَه بعدَ أن اختبرتَ ما يحل بالكنيسة من أوقاتٍ عصيبةٍ وآلامٍ مريرة. وإني أَخشَى أن تؤكِّد، بهروبك لأجْلِ ذاتك هذا، دليلَ موتك في نظر اللّه بسبب الآخرين. لأنَّ «مَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ»[١١]. فما عسَى أن يكون لك، إذا أعثرتَ كثيرين وكثيرين؟ وإن الإجماع المُدهِش الذي قد حصُلتَ عليه، باختيارك راعيًا لمنطقة[١٢] الإسكَندَريّة، سيتراجَع بالضرورة نتيجةً لتنَحّيك؛ وأُسقُفيّتها سيطلُبها الكثيرون ـ وكثيرون هم غير المُستحِقّين، كما تَعرِف جيِّدًا. وسيبقَى من الأمم كثيرون، ممن وعدوا بأنْ يصيروا مسيحيّين

---

[٩] الأُسقُف دراكُنتيوس، أُسقُف هرموبوليس بارفا، كان أحد الأساقفة الذين أبعدوا عن إيبارشياتهم ٣٥٦–٣٥٧. وكان قد أُبْعِد إلى الصحراء الكائنة بالقُرب من القلزم، أي خليج السويس. انظر *Hist. Ar.* 75, cf. Hieron. *Vit. Hilar.* 30. نجده في مجمع الإسكندريّة المنعقد سنة ٣٦٢. والرسالة هذه قد كُتِبَت لحضّ دراكُنتيوس على ألا يرفُض سيامته كأُسقُف؛ وكانت قد كُتِبَت قبل الفِصح بقليل (فقرة ١٠)، إذ كان الاضطهاد مُزمعًا أن يَحدُث (فقرة ٣)، وربما تكون قد كُتِبَت إبان إرسال سيرابيون وأمونيوس وآخرين إلى قُسطنطين ٣٥٣ م، إمّا أوائل عام ٣٥٤ أو ٣٥٥. والرسالة هذه تُعَدُّ إحدَى أهم رسائل أثناسيوس: إن دفئَ كلماتها غير المُصطنَع وقُوّتها وشِدّة التأثير التي احتوتها حالت دون إخفاقها في إثارة شعور كُلِّ مَن يقرأها. إنها مِثل الرسالة إلى آمون–واحدةٌ من أهمّ وثائقنا التاريخيّة عن الرَهبَنة المصريّة. (Migne xxv. 524 sqq.).

[١٠] انظر يو ٣: ٢، ١٩: ٣٨.

[١١] مت ١٨: ٦.

[١٢] كانت هرموبوليس بارفا إحدَى المناطِق التابعة للإسكَندَريّة (تلك التي كانت قديمًا تُسمَّى هرموبوليس الدلتا) والواقعة على قناة تبعُد قَدْرَ ٤٤ ميلاً شرق العاصمة؛ وهي تلك المنطقة المعروفة باسم دمَنهور. تشمل القائمة أيضًا اسم أغاثامون الأُسقُف المليتي في هذه المنطقة (*Apol. Ar.* 71). ويبدو أن إيبارشيّة سيز أكبَر بكثيرٍ من منطقة سيت القديمة (Maspero. *Hist. Anc.* 4, p. 24).

عقب سيامتك، على حالهم كأمميّين ما لم تُظهِر بأعمالك النعمةَ المُعطاة لك.

٢. أيُّ دفاعٍ هذا الذي ستتقدَّم به بعدَ أن صدر منك سلوكٌ كهذا؟ أيُّ حُجَجٍ تلك التي بها تستطيع أن تُزيل وتمحو خيانةً مثل هذه عن شخصك؟ كيف ستشفي جُرحَ الذين بسببك قد عثروا وسقطوا؟ بل كيف ستستطيع جَبْر ما انكسر؟ أيها الحبيب دراكُنتيوس، لقد جلبتَ لنا الألم بدلاً من الفرح، والأنين بدلاً من العزاء. فقد كُنَّا نظنُّ أنَّ لنا فيك تعزية، أما الآن فإذا بنا نراك تهرب من وسطنا وتنتظر المحاكمة. ومتى تحدُث المُحاكمة، فعندئذٍ ستندَم على ما كان منك. ومَن ذا الذي يُشفِق عليك[١٣]، أو كما يقول النبيّ: «مَن سيذكُرك بالخير»، بينما هو يرَى الإخوة الذين من أجلهم مات المسيحُ مجروحين برَحيلك؟ إنك لا بُدَّ أن تَعلَم ولا ترتاب في أنك كنت قبْلَ انتخابك تحيا لنفسك؛ أَمَا وقد انتُخِبت، فها أنت تعيش من أجل رعيّتك. وقبْلَ أن تنال نعمة الأُسقُفيّة لم يكن أحدٌ يعرِفك؛ أما بعدَ أن صرتَ أُسقُفًا، فقد صار الشعب ينتظر أن تأتيهم بالطعام، أَيْ بتعليم الكتاب المُقَدَّس. إذن، فعندما ينتظرون معونتك ويشتدّ بهم الجوع بينما أنتَ تُطعِم ذاتك[١٤] فقط، ويأتي ربُّنا يسوع المسيح ونقف أمامه؛ فأيّة ذريعةٍ تدافع بها عن نفسك حين يأتي فيجد خرافَه جَوْعَى؟ فلو أنك لم تكن قد أخذْتَ الوزنات، لَمَا كان قد وبّخَك. لكنه لو شاء أن يأخذها منك، فيكون بذلك مُحِقًّا؛ لأنك بعدَ أن نُلتَها، قد حفرتَ حُفرةً في الأرض لتدفِنها، بأقوالٍ حاشا لها أن تتسلَّل إلى أسماعك إنْ كنتَ تحفَظ تقواك: «كان ينبغي أن تضعَ فِضّتي عند اَلْصّيارفة! فعند مجيئي كنتُ آخُذ الذي لي مع ربًا»[١٥].

٣. أسألُك أن تنقذ نفسَك وتنقِذنا. أنقِذ نفسك لئلا تَلْقَى الخطرَ؛ وأنقِذنا حتَى لا نتألَّم بسببك. فَكِّر في الكنيسة، لئلا تتعرَّض كثرةٌ من الأصاغر للأَذَى من ورائك، ويجد آخرون هذا وقتًا مناسِبًا للارتداد. أَلا وإن خشِيتَ

---

[١٣] إر ١٥: ٥.

[١٤] انظر حز ٣٤: ٢.

[١٥] انظر مت ٢٥: ٢٧؛ لو ١٩: ٢٣. وليس واضحًا إذا كان المقصود بالمال الذي أخذه دراكُنتيوس هو تكريسه الفعلي أم مُجَرَّد انتخابه.

الأزمنةَ وسلَكْتَ هكذا بجُبنٍ، فإن فِكرَك يكون فِكرُ غير الرجال؛ لأن ما كان ينبغي لك في ظرفٍ كهذا هو أن تُبدي الغيرةَ من أجْل المسيح، وتواجه الظروف بشجاعة، مستخدمًا لُغةَ بولس الطوبوي: «فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا»[١٦]، وبالأكثر فإنه ينبغي ألا نخدم الوقتَ، بل نخدم الربَّ[١٧]. أما بشأن بُغضك للنظام الكنسي، واعتقادك أنْ ليس للخدمة الأُسقفيّة جَزاء ـ لِمَ ـ ثُمّ تجاسُرك إلى أنْ تستهين بالمُخلِّص الذي وَضَع هذه الأمور، فإني أطلُب إليك أنْ تدَع عنك هذه الأفكار كلها، ولا تُذعِن لهؤلاء الذين يدفعونك لمثل هذا؛ لأن هذا لا يليق بدراكُنتيوس. فإن النظام الذي أسَّسه الربُّ بأيدي الرُسُل يبقَى عادلاً راسخًا؛ أما جُبْن الإخوة فلسوفَ يُخْمَد[١٨].

٤. فلو كان الكلُّ لديهم فِكرَ مُرْشِديك، فكيف صار لك أنْ تكون مسيحيًّا إذا لم يوجَد أساقِفة؟ أو إذا ورَّثنا الآتين بعدَنا هذه النزعة الفِكريّة، فكيف ستتمكَّن الكنائسُ من أن تتَّحد؟ وهل يظنّ مرشدوك أنك لم تأخُذ شيئًا ولذا يستهزئون؟ إنْ يكُن الأمر هكذا، فَهُم بالتأكيد ليسوا على صواب. فهذا هو الوقت الذي لهم فيه أن يُفكِّروا في حقيقة أنَّ النعمة التي تكون في جُرْن المعموديّة لا تُساوي شيئًا طالما أن هناك أناسٌ يستهينون بها. ولأنك أنت قد نُلتَها، أيها الحبيب دراكُنتيوس، فلا تُعطِ مجالاً لمُرشِديك، ولا تَخْدع نفسك. لأنك ستُسْأَل عنها من الإله الذي وهبها. أَلَمْ تَسمَع الرسولَ: «لاَ تُهْمِلِ الْمَوْهِبَةَ الَّتِي فِيكَ»[١٩]؟ أوَما قرأْتَ كيفَ قد قيل الرَّجُلَ الذي ضاعَف وزناته، وكيفَ أَدان مَن خبَّأها؟ ولكن، فليكُن لك أن ترجِع سريعًا حتى تصير أنت أيضًا من بين الممدوحين. وإلا فقُلْ لي: مَن يُريدك مرشدوك أن تُحاكِي؟ لأننا ينبغي أن نتبع خُطى القدّيسين والآباء، ونتشبَّه بهم؛ ونقطَع بأننا إذا تركناهم فإننا ننأى بأنفسنا بعيدًا عن مسيرتهم أيضًا. مَن يرجون لك أن

---

[١٦] رو ٨: ٣٧.

[١٧] رو ١٢: ١١. Westcott and Hort on various reading

[١٨] ينبغي ملاحَظة أنّ خوفَ دراكُنتيوس لم يكُن بسبب ما سيناله من *كرامة* بعد أن يُصبِح أُسقُفًا؛ بل لئلا يَضعُف *بالرُوح* (فقرة ٨). انظر *فتور صوت نداء النفس* للبابا يوجينيوس الرابع: "غبريال، لو لم تَكُنْ البابا أو الكاردينال أبدًا، لكان هذا أفضل من أجْلِ خَلاصِك". أُنظُر أيضًا S. Bernard, *de Consideratione*.

[١٩] ١ تي ٤: ١٤.

تُحاكِي إذن؟ أذلك الذي تَرَاجَع، وبينما كان يتمنَّى أن يتبَع، تباطأ وراجَع نفسه لحُبِّه لذويه[٢٠]؟ أَم بولس المبارَك، الذي إذ أُسنِدَت إليه الخدمة، لَبَّى مُسرِعًا، ولَمْ يَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا[٢١]؟ فرغم أنه قال: «أنا الذي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً»[٢٢]، إلا أن إدراكه العطيّة التي نالها، وعدم جهله بمَن وهبها، دفعاه لأنْ يكتب قائلاً: «وَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ»[٢٣]. ولكن، وكما كان «ويلٌ لي» إنْ لم يُبَشِّر، كذلك فإنَّ تعليمه وكرازته بالإنجيل جعلا مَن قبلوا الإيمان هُم سُرُورَهُ وَإِكْلِيلَه[٢٤]. هذا يفسِّر سبب الغيرة والحماسة اللتين دفعتا هذا القدّيس[٢٥] للتبشير بلا هوادةٍ أو تردُّد حتى وصل إلى روما[٢٦]، بل وإلى العبور بنَفْس الشجاعة إلى بلاد الإسبان أيضًا[٢٧]، لكي يكون بقدر جهاده مستحقًّا جزاء أعماله. وهو أيضًا قد افتخر بأنه قد جاهد الجهاد الحسن، ووثق بأنه سينال الإكليل العظيم[٢٨]. لهذا أسألك، أيها الحبيب دراكُنتيوس: مَن تُريد أن تُشبِه بسلوكك الحالي هذا؟ أبولس، أَم مخالفيه؟ أما من جهتي، فإني أسأل اللّه أن نكون كلانا مثل جميع القدّيسين.

٥. ومحتمَلٌ أن يكون هناك مَن نَصحك بالاختباء بسبب تعهُّدِك بعدم قبول الرُتبة إذا انتُخِبتَ لها. فأنَا أسمَع أنهم يطِنُّون في أُذنيك بهذا الكلام، ظنًّا منهم أنهم هكذا يُرضون ضمائرهم. إلا أنهم لو كانوا هكذا يتكلّمون من قِبَل الضمير حقًّا، لكانوا أول كل شيءٍ قد سلكوا بمخافة اللّه الذي وَضَع لك هذه الخدمة. أو لو أنهم كانوا قد قرأوا الكُتُب المقدّسة، لَمَا كانوا قد اقترحوا عليك ما هو مُخالفٌ لها. فهكذا آن أوانهم لكي يُلقوا باللوم على إرميا أيضًا، ويتّهموا موسَى العظيم بالخيانة، حيث إنهما لم يأبها بنُصحهم، بل

---

[٢٠] لو ٢٠: ٦١.

[٢١] غل ١: ١٦.

[٢٢] ١ كو ١٥: ٩.

[٢٣] ١ كو ٩: ١٦.

[٢٤] ١ تس ٢: ١٩.

[٢٥] اقرأ τῷ ἁγίῳ حسب اقتراح Montf.

[٢٦] رو ١: ١٥.

[٢٧] رو ١٥: ١٩، ٢٨.

[٢٨] ٢ تي ٤: ٧ و٨.

أنهما، بمخافة الله، أكملا خدمتهما، وأتمَّا ما لهما من نبوّات. فهُما أيضًا، حين أُعطِيا الرسالة وموهبة التنبّؤ، رَفَضاهما؛ أَمَا وقد رجعا وخافَا ولم يستخِفَّا بمن أرسلهما. وحتى إنْ كنتَ ثقيل النُطق بطيء اللسان، فلتخشَ الله الذي جَبَلَك؛ أو إنْ كنت تحسب نفسك أصغر من أنْ تَكرِز، فلْتُعِزَّ مَن عَرَفك من قبل تكوينك. أو إذا كنت قد أعطَيتَ كلِمتك، (إذ كانت كلمتهم للقدّيسين كأنها العهد)، فحَسْبك أن تَقرأ إرميا لترَى كيفَ قال هو أيضًا: «لن أدعو بإسم الربّ»[٢٩]. ورغم هذا، فقد رجع وخشِي لهيب النار الذي بداخله، فلم يفعلْ ما قال، ولم يختبئ بسبب التزامٍ بقَسَمٍ، بل بارَك اسمَ مَن قد ائتمنه على الرسالة، ولَبَّى دعوة النبوّة. أوَلا تَعلَمْ، أيها العزيز، أنَّ يونان أيضًا قد فرَّ هاربًا، لكنه لاقَى قَدَرَه الذي أوقَعَه ورَدَّه لرسالته؟

٦. لا تتَّخذ لك مُرشدين مُضادّين لهذا إذن. فإن الربّ يَعلَم بأحوالنا أكثر مما نَعلَم بها نحن أنفسنا، وهو يَعرِف لمَن يُعطِي الوكالة على كنائسه. فحتى إنْ كان الوكيل إنسانًا غير كُفءٍ، فلا ينبغي أن ينظر لحياته السالفة، بل فليُؤدِّ خدمته، لئلا يجلِب على نفسه دينونة التقصير في الخدمة إضافةً لِما كان منه في حياته. إنني أسألُك، يا عَزيزي دراكُنتيوس، إنْ كنتَ تعلَم ذلك وأنتَ رجُلٌ حكيمٌ: أوَلم يؤْلم نفسك وخز الضمير؟ ألا يُقلِقُك أن تَخفُق في إتمام ولو واحدة مما أُوكِل إليك من مهام؟ أَلا يشتعِل فيكَ ضميرك كأنه بنار؟ أَلا تخشَ يوم الدينونة الذي لن تجِدَ فيه عونًا من أحدٍ ممن يُرشِدونك الآن؟ لأن كلَّ واحدٍ سيُقدِّم حساب ما بيديه من أمانة. ماذا أفاد العُذْرَ ذلك الذي أَخفَى وزنته؟ وما الذي نَفَع آدم من قوله: «المرأة خَدَعَتْني»[٣٠]؟ أيها الحبيب دراكُنتيوس، ينبغي لك ـ حتَى إذا كنتَ ضعيفًا حقًّا – أنْ تتولَّى المسؤوليّة، لئلا يُسْقِط الأعداءُ الكنيسةَ التي بلا راعي جريحةً، مُنتَفِعين بفرارك. فعليك أن تُمَنْطِق ذاتَك استعدادًا، حتى لا تترُكنا وحدَنا في المُقاوَمة. ينبغي أن تَعمَلَ معنا لكي يكون لك أنتَ أيضًا أن تنال الجزاء مثل الجميع.

---

[٢٩] إر ٢٠: ٩.

[٣٠] تك ٣: ١٢.

٧. أَسرِع إذن، أيها الحبيب، ولا تتأخَّر كثيرًا، ولا تُتِح المجال للّذين يُعَرْقِلونك، بل تذكَّرْ مَن قد أَعطَى ومِن أَجْلِ صلاحنا قد حَلَّ بيننا؛ هذا الذي يُحبُّك ويُعطيك النُصح الإنجيليّ المُقدَّس، وهكذا تكون مرسومًا بواسطتنا، وكذلك تذكُرنا حيث تَخدم بالكنائس. فأنتَ لستَ الوحيد الذي قد اُختيرَ من بين الرُهبان، ولستَ الوحيد الذي كان رئيسًا لديرٍ، أو الذي كان محبوبًا لدَى الرُهبان. بل أنتَ تَعلَم كيف أن سيرابيون لم يتوقّف عند كونه راهبًا ورئيسًا لجَمعٍ كبيرٍ من الرُهبان؛ لم يَغِب عن عِلمِك عدد الرُهبان الذين كان لهُم أبُلّوس أبًا؛ تَعرِف أغاثون، ولا تَجهَل أريسطون. أنتّ تَذكُر أمونيوس الذي سافَر للخارج[٣١] بصُحبَة سيرابيون. ورُبّما تكون أيضًا قد سمِعْتَ عن مويتوس[٣٢] بشبيد العُليا، وتَعلَم بما كان عليه بولس[٣٣] وهو في لاتوبوليس، وتدري بأمورٍ كَثرةٍ آخرين. وهؤلاء، إذ هُم قد اختيروا، فإنهم لم يعترضوا، بل إنهم، تِبعًا لتمثُّلهم بأَليشَع، وعِلمِهم بقصّة ايليّا، ودرايتهم بكلّ شيءٍ عن سِيَرِ التلاميذ والرُسُل، تمسَّكوا بمباشَرة ما أُسنِد إليهم، ولم يستخِفّوا بالخدمة، ولم يُنْزِلوا مما لهم من مكانة؛ لا، بل هُم يَشخُصون نحوَ جزاء جهادهم، نامينَ بأنفسهم ومُرشِدين للناس. فكم رَدّوا عن الأصنام؟ كم من أناسٍ قد كانوا هُم سبب إحجامهم عن مآلفة الشياطين بتحذيرهم؟ كم من عِبادٍ قد جَلَبوا إلى الرب، إذ جعلوهم يشهدوا العجائب فيُبهَتوا مما شهدوا؟ أوَليست معجزةً عظيمةً أنْ يجعلوا الفتاة تحيا عذراء، والشابّ يسلُك بالعفاف، والوثنِي يأتي طوعًا لمعرفة المسيح؟

٨. لا تدَعْ الرُهبان يمنعونك إذن، كما لو كنتَ أنتَ وحدك الذي انتُخِبت من بين الرُهبان. ألعلّك تسعَى لحَبْك ذرائعَ تُعلِّل بها فسادك المُزمَع؟ إنك تستطيع أن تَنمو وتَرقَى لو أنك تمثَّلتَ ببولس، واتّبعتَ القدّيسين بأعمالك. لأنك تعرِف أن مِثل هؤلاء الرجال، حين اختيروا خُدّامًا للأسرار، لم يشغلهم شاغل سوَى

---

[٣١] في [عام] ٣٥٣. انظر *Fest. Ind.* xxv; Sozom. iv.9

[٣٢] ربما هو "مويس" المذكور ضمن الموقعين على مجمع ساردیكا (*Apol. Ar.*) وفي سيرة باخوميوس، فصل ٧٢.

[٣٣] ربما هو "فيلو" المذكور ضمن الموقعين على مجمع ساردیكا وفي سيرة باخوميوس. وكلٌّ من "مويس" و"فيلو" يظهران معًا في "دفاع [القديس أثناسيوس] عن هروبه"، فقرة ٧، حاشية رقم ٩.

الجهاد في شركتهم في الدعوة السماوية[٣٤]. فهل كان لبولس أن يَقبَل الشهادة وينتظر نوال إكليلها لو لم يكُن قد أُرسِلَ ليُعلِّم؟ وكيف كان لبطرس أن يعترِف دون أن يكون كارِزًا بالإنجيل بعد أن أصبح صيّادًا للناس[٣٥]؟ وكذا إيليّا أيضًا، أكان له أن يُختطَف قبلَ أن يُكْمِل عمل النبُوّة؟ ولو لم يكُن أليشَع قد ترَك كل شيءٍ وتبع إيليّا، فمِن أين كان له أن يحظَى بنصيب اثنين من رُوحه؟ أو لماذا اختار المخلِّصُ تلاميذًا له لو لم يكُن مُزْمعًا أن يجعلهم رسلاً؟

٩. لذا، أيها العزيز دراكُنتيوس، فإنك ينبغي أن تحذو حذوهم، ولا تُصدِّق مَن يقولون أن منصب الأسقف يحلو للخَطيّة، أو أنه حافِزٌ للغواية. فأنتَ، كأسقف، باستطاعتك كذلك أن تجُوع وتعْطش[٣٦]، مثلما كان بولس. باستطاعتك ألا تكون شَرّابَ خمرٍ كما كان تيموثاوس[٣٧]، وباستطاعتك أيضًا أن تُواظب على الصوم مِثلما فَعَل بولس[٣٨]، حتى يمكنك بالصوم، مُقتَديًا به، أن تكون بكلامك مُشْبِعًا للجموع؛ وإذ يُعْوِزُك الظَمَأ تَرْوِي الجموع بتعاليمك. فلا تدَعْ أصدقاءك يُضلِّلونك بهذه الأقاويل، فإننا نعرِف أساقِفةً يصومون ورُهبانًا يأكُلون؛ نعرِف أساقِفةً لا يشربون الخمر كما نعرِف رُهبانًا يشربونها؛ نعرِف أن هناك أساقِفةً يصنعون[٣٩] العجائب في حين أن هناك من الرُهبان مَن ليس لهم من هذه شيئًا. كذلك فإن أساقِفةً كثيرين لم يتزوَّجوا، في حين قد صار رُهبانٌ[٤٠] آباء بنين؛ بل وعلى العكس، فإننا نعرِف من

---

[٣٤] في ٣: ١٤.

[٣٥] مت ٤: ١٩.

[٣٦] في ٤: ١٢.

[٣٧] ١ تي ٥: ٢٣.

[٣٨] ٢ كو ١١: ٢٧.

[٣٩] σημεῖα. في نهاية الفقرة ٧ قد تعني هذه الكلمة "عجائب"، أما هنا فهي تشير إلى المعجزات، ولكن من منظور مختلف.

[٤٠] رُبَّما يكون المقصود هنا الرجال الذين تزوَّجوا ثُمَّ أصبحوا بعد ذلك رُهبانًا؛ إمّا هكذا، أو – ولأنّ كثيرين من رُهبان هذا العصر كانوا يعيشون في العالم ولم يُشكِّلوا جماعاتٍ تَخُصُّهم – فإن الكلام قد يُشير إلى السالكين بالنُسك من الرجال المُتزوِّجين.

الأساقِفة آباءً لبنين، ورُهبانًا قد بَلَغوا الكمال[٤١]. وثانيةً، فإننا نعرِف من إكليروس رجالاً يتألَّمون جُوعًا، ورُهبانًا يصومون؛ فإن هذا جائزٌ لدَى السالكين هذا السبيل وغير مستحيلٍ عند مُتَّخِذِي ذاك. ولكن، فليكُن الإنسان أمينًا في جهاده أيّما كانت مكانته؛ لأن الإكليل لا يُعْطَى بحسب المكانة؛ بل بحسب العمل.

١٠. لا تُعطِ مجالاً للمُضِلّين بالكلام إذن. كلاّ، بل أَسرِع ولا تتوانَ. عَجِّلْ، فقد اقترَب العيدُ المُقدَّس؛ فعسَى ألا يحفَظ الشعبُ العيدَ بدونك، وتَجلِب أنت على نفسك خطرًا عظيمًا. فمَن ذا الذي سيعظهم في عيد القيامة في غيابك؟ مَن سيُبشِّرهم بيوم القيامة إنْ كُنتَ أنت مُحتجِبًا هكذا؟ مَن سيكون لهم مُرشِدًا حتى يحتفلوا بالعيد كما يليق بينما أنت هارِب؟ فكم من أناسٍ سيَصِيرون للأفضل بظهورك، وكم هم الذين سيتألَّمون لرَحيلك! ومَن عسَى أن يَذكُرك بالحَسن بعد فعْلتك هذه؟ وكيف يشور هؤلاء عليك بالتنحّي عن الأُسقُفيّة بينما هُم يسعَون وراء الكَهَنوت[٤٢]؟ فإنْ تكُنْ سيِّئًا، فليُعرِضوا عن معاشرتك؛ أَمَا ولأنهم يَعلَمون أنك صالحٌ، فلا ينبغي أن يكونوا لك حَسّادين. ولو صَحَّ قولهم بأن التعليم والسيامة مدعاةٌ للخَطِيّة، فليُحجِموا هُم عن طَلَب التعليم وعن السعي وراء الكهنوت، لئلا يعثروا ويكونوا لمُعلّميهم عثرةً. فلا تُعِرْ لمِثل هذه الأقوال البشريّة أدنَى اهتمامٍ، ولا تلتفت لهؤلاء المُضِلّين، كما سبق وقُلتُ مِرارًا وتكرارًا، بل أسرِعْ وارجِعْ للربّ، حتى تذكُرنا كما يذكُر هو خِرافَه. وأنا، بهذا، طلَبتُ إلى حبيبَينا هيراكس القِسّ ومَكسيموس القارئ، وبهذا أيضًا أُكلِّمُك بفمي، حتى تستطيع أن تُدرِك مدَى عُمْق المشاعِر التي بها أكاتبك، بل ومَغَبّة سماع ما يُشاع عن المناصِب الكنسيّة من أكاذيب.

---

[٤١] ἐξ ὁλοκλήρον γένους

[٤٢] ليست هذه هي باكورَة مَعرِفتنا بأناسٍ سيموا لخدمة جماعات الرهبان. اُنظُر *Apol. Ar.* 67.